

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muhend Ulhağ - Tubirett -



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محمد أولحاج
- البويرة -

Faculté des Lettres et des Langues

كلية الآداب واللغات

كلية اللغات والأدب العربي
قسم: اللغة والأدب العربي

النثر الفني عند الجاحظ من أعاجيب الحيات - امونجا -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي

إشرافه الأستاذة:

* بوعامر كريمة

إعداد الطالبتين:

* زايدي أحلام

* قراوي نادية

السنة الجامعية

2013/2012

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
"وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ
عَمَلَكُمْ، وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ".

كلمة شكر وعرفان

الحمد لله عز وجل الذي يسّر لنا
أمرنا، ووفقنا في إنجاز هذا العمل المتواضع .
ونتقدم بالشكر إلى كل من ساهم من بعيد ، أو
من قريب ولو بكلمة طيبة ، وإلى كل أساتذة
الأدب العربي الذين أخلصوا في عملهم، وفي
توجيهاتهم طوال المشوار الدراسي . وأشكر كل
الأساتذة عرفاناً بجميلهم من المرحلة الابتدائية
إلى المرحلة الجامعية ، وبالأخص الأساتذة
القديرة والفاضلة التي أشرفت علينا في هذا
العمل، ومهدت لنا درب النجاح الأتاحة "بوعامر
كريمة".

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من أحمد علي نعمتهما المنان، إلى
نبي الحب والحنان، إلى آية من آيات القرآن قال فيها
الرَّحْمَنُ «وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا». إلى أمي وأبي العزيزين الذين
كانا سنداً لي في حياتي، وربباني أحسن تربية لأنال اليوم هذا
الفخر، وأصل لما عليه اليوم.

إلى من هم أنسي في الحياة أختي الحنونة نجاة دون أن أنسى
زوجها الطيب وإخواني الأعزاء وإلى أحبب قلبي أبناء أختي
"فادي" و"ماريا" و"مصام".

إلى كل فرد من أفراد عائلتي من أجداد، وأخوال، وأعمام.
إلى من كانت سندي في هذا العمل صديقتي الغالية نادية.
إلى كل صديقاتي المفضلات، والمقربات. زهيرة، فاطمة، حدة،
زينب، ايمان، سميرة، جهاد، مباركة، وبالأخص هدى التي
كانت رفيقة الروح طوال المشوار الدراسي الجامعي.
وإلى كل طلبة الفوج الثاني، السنة الثالثة، تخصص أدب عربي،

أحلام

إهداء

إلى من قال فيهما الرحمن

"ولا تفل لهما أفة ولا تنهرهما"

إلى من ربنتني ورعتني بحنانها الدافء ورافقتني بدعواتها

طوال مشواري الدراسي

"أمي الغالية"

إلى الذي أعطاني دوما ولم يبخل عليا يوما

"أبي العزيز"

إلى أختي منى التي ساعدتني في إنجاز هذا العمل وخطيبها

وزميلاتها في العمل

إلى أختي سهام وزوجها وأبنائها أحباب قلبي شلي البيت

والكتاكيت "محمد حسام" و"عبدو"

إلى من أعتبره أخي الصغير "عيسى"

إلى ابنتي عمي "شريكتي" أمال، رباب

إلى كل فرد من أفراد عائلتي

إلى رفيقتي دربي زينب، إيمان، والصديقة الغالية أحلام

إلى من كانت سندي في هذا الأداء "أحلام"

إلى صديقتي وزميلاتي "فاطمة، زهيرة"

إلى كل من تمنى لي النجاح

نادية

مفاتيح

مقدمة:

لقد أُقبل الجاحظ على الكتابة، تدفّعه مواهبه العديدة وثقافته الواسعة، فتنوع كتاباته، هذه الأخيرة التي لقت رواجاً بين القراء يتهافتون حول إنجازاته الأدبية بشغف وفضول كبيرين للتعرف على أي جديد، هذا مادعا بنا إلى اختيار موضوع النثر الفني عند الجاحظ، واخترنا أنموذج "من أعاجيب الحيّات" من كتابه الشهير "الحيوان" -الجزء الرابع- لدراسته.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ماهي أهم خصائص النثر الفني عند الجاحظ؟ وما هي أهم الأشكال النثرية التي سادت في عصره أُنذاك؟ وماهي أهم الخصائص البلاغية في أنموذج "من أعاجيب الحيّات" من خلال أسلوب الجاحظ المعتمد؟

ونحن اليوم نقف بإجلال وفخر، وشغف لمعرفة هذا الفن النثري الذي نبغ فيه صاحبنا الجليل، فدفعنا حبنا لهذه الشخصية وإعجابنا بأسلوبه إلى أن نرصد معارف وخصائص النثر وطريقة تأليفه، فعمدنا بذلك إلى اتباع خطة بحث تتمثل في اعتمادنا على تمهيد عرفنا من خلاله تطور النثر الفني في العصر العباسي وأسباب ذلك، وفي الفصل الأول تطرّقنا إلى تعريف النثر الفني لغةً واصطلاحاً، ثم عرجنا إلى أهم الأجناس النثرية. أمّا في الفصل الثاني قدّمنا فيه أنموذج "من أعاجيب الحيّات" للجاحظ من كتابه "الحيوان" ثم تطرّقنا إلى دراسة الأنموذج دراسةً بلاغيةً، من حيث الألفاظ، العبارات، المعاني، والصور البيانية والمحسنات البديعية. أمّا فيما يخص أهم المراجع والمصادر التي استعملناها بكثرة هي كتاب "أعلام في النثر العباسي" لحسين حسن الحاج، وكتاب "مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم"، وكتابا "البيان والتبيين" وبالأخص كتاب "الحيوان" للجاحظ الذي أخذنا منه الأنموذج الذي تطرّقنا إلى دراسته. هذا الكتاب الذي يكشف عن خبرته ونباغته، هذا البصري الصيل الذي خلّد إسمه من ذهب في تاريخ الأدب فهذه الموسوعة التي نبغ فيها، وكيف أنه جمع كل المعارف في هذا الإنجاز الضخم، والذي هو بدوره مرآة عاكسة وصورة واضحة لشخصية الجاحظ الدينية والاجتماعية.

ومن بين الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا البحث هي قلة المصادر والمراجع التي تمسّ الموضوع في جوهره، لاسيما في الفصل الثاني وصعوبة تحليل النص الذي اعتمدنا عليه في مذكرتنا.

وفي النهاية نخص بالشكر الأستاذة الفاضلة "كريمة بوعامر" التي شرفنا إشرافها علينا في هذا العمل، ووجهتنا لنصل اليوم إلى درب النجاح.

الفصل الأول

الفصل الأول:

النثر الفني

المبحث الأول:

تعريف النثر الفني

أ- لغة

ب- اصطلاحا

المبحث الثاني:

أشكال النثر الفني

أ- الرسائل والتوقيعات

ب- الخطابة

ت- المناظرات

ث- الأمثال

ج- القصص الديني

تمهيد:

إن تطور النثر العربي شكلاً، و مضموناً ، قام بهندسة نخبة من رجال الفكر، يحسنون اللغتين المنقول عنها، و المنقول إليها، فاستخدموا أسلوباً مولداً جديداً، له خصائصه، وميزاته، لكنه حفظ للغة العربية صورتها التركيبية، و النحوية، و الصرفية، حيث أنها بقيت سليمة لا يشوبها أي شئ من الفساد، و اللحن، و من اطلع على إنتاج «ابن المقفع» الأدبي بدقة، تبين له أن هذا الرجل العظيم استطاع أن يضيف على أسلوبه الجديد الطابع العربي كاملاً غير منقوص، و بذلك اتسعت اللغة العربية اتساع الصحراء المترامية الأطراف، و بالحديث عن ذلك دون أن ننسى " الجاحظ" بأعماله و انتاجاته الثرية هو بدوره احتفظ بأهم المواد التي نقلها مترجمون كثيرون يحسنون النقل عن السنسكريتية التي تتمثل في " صحيفة في البلاغة " هذه الثقافات الدخيلة المختلفة التي نقلت إلى العربية كان لها دور هام في توسيع مدى الثقافة العربية، حتى أصبح النثر العربي نثر ثقافة متشعبة اكتسب أرصدة كبيرة من إيران، و اليونان، و الهند⁽¹⁾ . و من هذا يتضح أن النثر أثرت فيه الأساليب الأجنبية، و طرق تفكيرهم، و أنماط عاداتهم، و تقاليدهم، و على هذا النحو أصبح النثر العربي في العصر العباسي الذي برز فيه أشهر ناثرين المذكورين سابقاً متعدد الفروع، فكان النثر الفلسفي، و النثر التاريخي، و النثر العلم، و النثر الأدبي الذي كان في بعض صورته تقليداً للقديم، و في البعض الآخر جديداً مبتكراً كما نلاحظه ذلك عند الجاحظ، و سهل بن هارون .

كما أن المعتزلة نهضت بالنثر العباسي نهضة مباركة لان المتكلم عليه أن يحسن الاحتجاج بالبراهين الدالة، و يتقف نفسه بثقافة واسعة في الفلسفة، و الفقه، و علم الكلام، و الحديث، و ذلك حتى يثبت آراءه اتجاه خصومه من الفرق الأخرى هذا التنافس كان له اثر ايجابي في نهضة النثر العباسي على نحو ما تم للخطابة في العصر الأموي، حيث كان للنزاع العباسي أثره أيضاً في نهضة الخطابة، و ازدهارها.

1- حسين حسن الحاج أعلام في النثر العباسي ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، و التوزيع ط1 ، 1993م ، بيروت، ص37.

و المتكلم عليه أن يجمع بين القضايا الدينية حيث يقول الجاحظ: «و لا يكون المتكلم جامعاً لأقطار الكلام، متمكناً في الصناعة يصلح للرئاسة، حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة، و العالم عندنا هو الذي يجمعها» (1).

و في نظر الجاحظ لا تكفي الثقافة الفلسفية وحدها للمتكلم، بل عليه ان يتقن أيضاً بجميع ضروب الثقافات المعروفة في عصره، و تابع في حديثه عن المتكلمين و ثقافتهم .

كان ذلك قد هياً للنثر العباسي أسباباً كثيرة لينمو، و يزدهر حتى انه استوعب مجالات الفلسفة، و العلوم، و الأدب، و مضى يتفاعل مع الثقافات الأجنبية، محتفظاً بمقوماته العربية الأصيلة، و قد تم ذلك على أيدي كبار المتكلمين، و أعظم المترجمين (2). و نذكر أفضل الكتاب الذين حذقوا صنعهم، و خاضوا أغمار اللغة العربية، فأعتوها، و نموها في جميع مجالات المعرفة، و أشهر أولئك الكتاب الأديب، و المترجم «عبد الله بن المقفع» و أيضاً نجد الأديب، و الناثر، الأستاذ الرئيس المعروف بالجاحظ الثاني .

«أبو الفضل محمد بن الحسين ابن العميد» و الكاتب «أبو الفضل احمد بن الحسين» المعروف ببديع الزمان الهمذاني، و دون أن ننسى العالم و الأديب «عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الملقب بالجاحظ» و الذي سيكون محط اهتمامنا في هذا البحث، و كل من أولئك الذين سبق ذكرهم برزوا في هذا العصر بحلتهم الأدبية في أكمل وجه باكتمال البدر ليلة التمام، العمل المتقن دون أي تقان في رسم طريقتهم الأدبية ليجعلوا من هذا العصر نهضة، و تطور، و رقي في شتى الفنون النثرية المختلفة.

1- ينظر : حسين حسن الحاج : المرجع السابق، ص93.

2- المرجع نفسه، ص41.

الفصل الأول:

المبحث الأول:

تعريف النثر الفني :

أ - لغة : إذا أردنا أن نتتبع مدلول كلمة " نثر " ، و مرادفاتها في موروثنا النقدي فإننا نجد النثر يُسمى " كلاما " ، من ذلك ما ورد في نقد احمد بن أبي طاهر لكلام سعيد بن حميد : " لو قيل لكلام سعيد ، و شعره ارجع إلى اهلك لما بقي منه شيء " .

و يسمى بشر بن المعتمر في صحيفته البلاغية التي رواها له الجاحظ " النثر صناعة الكلام " (1) . و نلاحظ هنا احمد بن أبي طاهر في نقده لكلام سعيد بن حميد كيف جعل الكلام مقابلا للشعر ، و المقصود هنا بالكلام النثر.

وورد في كتاب " البرهان " لابن وهب : " المنثور هو الكلام ، كما جاء في الكتاب الوساطة للجرجاني (ت 366 هـ) قوله : " الكلام منظومة ، و منثورة " و قال مسكويه: " إن النظم و النثر نوعان قسيما ، نحت الكلام ، و الكلام جنسٌ لهما " (2) ، و من خلال مفهوم هذين الناقلين يتبين أن الكلام اشمل ، و اعم من النثر ، و من قول مسكويه نفهم أن الكلام جنس للنظم و النثر أي النثر جزء من الكلام .

1- الجاحظ: البيان والتبيين، ج2 تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل، ط7 بيروت، 1998 ، ص17.
2- مصطفى البشير قط : مفهوم النثر الفني، و أجناسه في النقد العربي القديم، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع دط ، الأردن 2009 ، ص 77.

❖ **في المعاجم** : ورد مدلول كلمة " نثر " في معجم أساس البلاغة "للزمخشري" ترجع في لغتنا إلى أصل مادي حسي هو "النثرة" أي : الخيشوم ، و الفرجة بين الشاربين و منه قيل : نثرت المرأة بطنها ، و نثر الحمار الشاه نثيراً، أي عطست، و أخرجت من انفها الأذى، و النثار و النثارة بمعنى النثر، و هو الفتات المتناثر حول الخوان، و النثر مصدر من السكر، و نحوه، كالنشر بمعنى المنشور⁽¹⁾ .

وجاء في لسان العرب لابن منظور : نثر ك الشيء بيدك ترمي به متفرقا مثل: نثر الجوز، و اللوز، و السكر، و كذلك نثر الحب إذا بذر، و هو "النتار" و النثارة : ما تناثر منه، و النثار: فتات ما يتناثر حولي الخوان من الخبز و نحو ذلك من كل شيء⁽²⁾ .

ونلاحظ من خلال هذين المفهومين أن لفظة نثر تحمل دلالة الشيء المبعثر، و المتفرق، و المشتت، أي عدم الإنتظام و هذه صفة من صفات النثر .

1- الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم، دار المعرفة للنشر و التوزيع، (ب. ط) مادة نثر، ص 446.
2- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة و النشر، ط. 4، بيروت 2005 (مجلد 13)، مادة نثر، ص 188.

ثم أخذت اللفظة بعد ذلك دلالة معنوية بمعنى " الكلام " إذ ورد في أساس البلاغة : رأيته يناثر الدرّ إذا جاوره بكلام حسن، و رجلٌ نثرٌ: مهذار و مذياع للأسرار، قال نصر بن سيار :

لقد علم الأقبام مني تحلمي إذا التثر الثرثار قال فاهجروا (1)

ومن خلال قول نصر بن سيار يتضح أن المقصود بالنثر هنا هو الرجل كثير الكلام ، الثرثار الذي يذيع الأسرار . فبعد أن تعرفنا على المعنى اللغوي لمدلول كلمة نثر سنتطرق بعد ذلك إلى تحديد المفهوم الاصطلاحي.

ب - اصطلاحاً : النثر في تعريف بعض النقاد العرب القدامى فن قولي غير منظوم يقابل الشعر بعده فنا قوليا منظوما ، والفرق بين الشعر والنثر لا يمكن إلا في عنصر النظم (الوزن فقط) ، وهؤلاء النقاد لم يدركوا أن في النثر نوعا من النظم والإيقاع الناجم من التشكيل اللغوي أولا ومن ظروف المحسنات البديعية المستعملة ثانيا ، والثقافة ، أما فيما سوى ذلك فإنهما متساويان ، ينطبق على أحدهما ما ينطبق على الآخر ، فقليل عن هؤلاء النقاد بأنهم لم يلحظوا أي فارق بين ما هو شعر ، و ما هو نثر وكل ما يفرق عندهم بين الشعر والنثر ، إنما هو الوزن ، والقافية ولما كان لهذين علم خاص هو العروض (2) فالنقاد العرب في تعريفهم هذا النثر يربطونه بالشعر ومفهومه الخاص ، وباستنتاجهم الفرق بينهما الذي يكمن في الوزن دون إدراكهم بأن النثر أيضا نوعا من النظم فهم راحوا فقط إلى ذلك الفرق البسيط ، ومن غير هذا الفرق فهم متساويان في نظرهم ، وما ينطبق على الشعر فينطبق على النثر .

1- الزمخشري : المصدر السابق ، مادة نثر ، ص 446.

2- مصطفى البشير قط ، مفهوم النثر الفني ، وأجناسه في النقد العربي القديم، ص 80 .

النثر لا نقصد به ذلك الحديث العادي ، أو المحاورات التي تدور بين الناس في شتى شؤونهم ، وأحوالهم ولا نعني به لغة التخاطب التي يراد بها الفهم ، أو الإفهام، وإنما نقصد شيئاً غير ذلك كله ، نقصد النثر الفني الذي يرتفع عن لغة التخاطب ، والأحاديث الجارية ويشمل على الصور البيانية ، ويوشي بالزخارف ، والصبغ البديعي ليزيد من حسنه مادام القصد من ورائه الإثارة والغرض منه الإمتاع⁽¹⁾ فالنثر ليس ذلك الكلام العادي ، والأحاديث المتبادلة بين الناس من أجل التواصل فيما بينهم في مختلف احتياجاتهم ، وليس مجرد لغة يتخاطب الناس بها فيما بينهم من أجل أن يفهم الواحد منهم غيره ، وإنما النثر أرقى من ذلك كله فالمقصود به النثر الفني الزاخر ، و الغني بالبيان والبديع الذي يزيده حسناً ، وإثارة ، وأكثر متعة وإجلالاً .

1- عبد القادر حسين ، فن البلاغة .دار غريب للطباعة ، والنشر والتوزيع، د - ط ، القاهرة ، ص 16-17 .

المبحث الثاني :

أشكال النثر الفني :

اتخذ النثر الفني أشكالا متعددة ، وتفرعت إلى فروع مختلفة . ومن هذه الأشكال نجد الكتابية ، والشفهية . وتمثلت فيما يلي :

أ- الرسائل و التوقيعات :

تأتي الرسالة على رأس الأجناس ذات الصبغة الكتابية في الخطاب النثري الممثل لعصر التدوين ، والحضارة ، وكما كفانا "ابن وهب" صاحب البرهان مؤونة تحديد المعنى اللغوي لجنس الخطابة ، فقد كفانا أيضا مؤونة التقريب من المعنى اللغوي لجنس الرسالة في المعاجم اللغوية ، إذ حدد أصل اشتقاقها . معناها مترسل . كما يقال «توقفت بهم أتوقف ، توقفا ، وأنا متوقف» لا يقال ذلك إلا فيمن تردد عليه اسم الفعل في الكسر ، ويقال لمن فعل ذلك مرة واحدة أرسل ، يرسل ، إرسالاً، وهو المرسل ، و الإسم "الرسالة " (1) فالرسالة اسم مشتق من راسل ، يراسل ، مراسلة و يطلق على الكلام الذي يراسل به ، و الرسالة تعد وسيلة للتخاطب فيما بين الناس ، فهي بديلة عن الأقوال التي يمكن أن يتبادلها متخاطبين أثناء الحوار ، بعد الخطابة مثلا جنسا ثريا شفا هيا سوى أن المخاطب في الخطابة حاضر مرئي يمكن التأثير فيه جذب انتباهه بوسائل إشارية مختلفة غير اللغة ، في حين أن المخاطب غائب في الرسالة بعدها جنسا نثريا كتابيا ، و من هذا يمكن أن نقول أن جنس الرسالة يشبه جنس الخطابة .

1- مصطفى البشير قط ، المرجع السابق، ص 118.

و قد نص على ما سبق أبو هلال العسكري إذ قال في كتابه "الصناعتين" فقال : " و اعلم أن الرسائل ، و الخطب متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن و لا تقفية ، و قد يتشاكلان أيضا من جهة الألفاظ ، و الفواصل فألفاظ الخطباء تشبه ألفاظ الكتاب في السهولة ، و العذوبة ، و كذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسائل ". و يؤكد أبو هلال العسكري أيضا مستشهدا في ذلك برسائل النبي صلى الله عليه و سلم إلى الملوك الأعاجم و إلى أقوام من العرب ، إذ يقول : " فأول ما ينبغي أن نستعمله في كتابك مكاتبة كل فريق منهم على مقدار طبقتهم و قوتهم في المنطق..."

و الشاهد عليه أن النبي صلى الله عليه و سلم لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس كتب إليهم بما يمكن ترجمته ، فسهل الرسول صلى الله عليه وسلم الألفاظ غاية التسهيل حتى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة في العربية ، و لما أراد أن يكتب إلى قوم من العرب فخم اللفظ لما عرف من فضل قوتهم على فهمه، و عادتهم لسماع مثله (1) . فأبو هلال العسكري ينص على أن كل طبقة تراسل حسب مستواها الفهمي، و قوتها في المنطق كما فعل الرسول صلى الله عليه و سلم حين كتب إلى أهل الفرس الأدنى معرفة خلافا في مراسلته لقوم من العرب فخم اللفظ ، و أعلى معرفة و قوة على الفهم .

و ينص أبو هلال العسكري على تأثر فن الترسل العربي بقوانين الكتابة الفارسية عن طريق " عبد الحميد" الكاتب الذي استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان العربي (2) .

1- ينظر : مصطفى البشير قط : المرجع السابق ، ص.121 .
2- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت، 1981، ص84.

من هذا نفهم أن العرب ناثرو بالفرس، فاستعملوا قوانين الكتابة الفارسية في رسائلهم ، و هذا يعود إلى الكاتب "عبد الحميد" الذي ترجم تلك القوانين من اللغة الفارسية على اللغة العربية .

و الرسائل أنواع منها : الديوانية ، و الرسائل الإدارية التي تصدر عن دواوين الحكام ، و يعني بأمور الدولة و شؤونها السياسية لذا نحرص على دقة المعلومات و مراعاة الرسوم ، المتعارف عليها في المكتبات ذات الصبغة الرسمية ، و من هذا النوع العهود ، و المناشير و انتقال الخلافة ، و منها أيضا الرسائل الإخوانية أي الشخصية التي يتبادلها الأصدقاء (1) . إذن الرسائل هذا الفن أو الشكل من الكتابة ينقسم بدوره على أقسام، و القسم الأول منه يتمثل في:

1- محمد يونس عبد العال : في النثر العربي ، قضايا ، و فنون ، و نصوص ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان 1991 ، ط1، القاهرة ، 1997 ، ص36 .

1- الرسائل الإخوانية :

هذا النوع يكتبه الأصدقاء إلى بعضهم البعض في تهنئة أو تعزية أو شكر، أو شفاعاة، أو عتاب، و ما إلى ذلك وهي أوسع ميدانا و أكثر افتتاحانا، و أعذب بيانا، و أعلى منزلة، و اسمي قدرا إلى الإبانة عن فكرة الكاتب، و عاطفته، و أخلاق الناس و منازعهم، و نجد ما كتبه "الصولي" إلى بعض إخوانه قائلا: "يا أخي أشكو إلى الله و إليك تحامل الأيام علي، و سوء اثر الدهر عندي، و أني معلق في حبال من لا يعرف موضعي، و لا يحلوا عنده موقعي، اطلب منه الخلاص فيزيدوني كلفا، و ارتجي منه الحق فيزدادني ضنا، فالثواء ثواء مقيم، و النية نية طاعن، و بزمام الرأي مرتحل، و ما ذهب إلى ناحية في الحيلة، إلا وجدت من دونها مانعا من العوائق، و احمل الذنب على الدهر فارجع إلى الله بالشكر، و اسأله جميل العقبي، و حسن الصبر" (1) فهذا النوع من الرسائل يروحن به الأصدقاء عما في دواخلهم في أثناء مراسلتهم لبعضهم البعض، فتجعل الصديق يتقرب إلى صديقه أكثر، و تعزز الروابط بينهم، أو قد تكون عتابا لشخص أساء إليه، أو صديقا يهنئ صديقه في مناسبة ما، و قد تكون شكرا، و امتنان، و عرفانا بالجميل، و هكذا... و كل هذا يعبر عن روح الكاتب الشفافة، و العواطف الجياشة، و الأخلاق السامية، و ما كتبه الصولي لبعض إخوانه يشكو إليه سوء الأحوال التي تحاملت عليه على مر الأيام لكنه بعد كل شيء لم ينسى شكر الله، عز وجل، و رجائه بجميل العقبي، و الصبر على الشدائد .

1- أمين أبو الليل، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، مؤسسة الورق للنشر و التوزيع ، ط ،الأردن 2008، ص220.

كما نلمس العديد من الرسائل الإخوانية التي كتبت في مختلف الأجواء العاطفية ونلمس برعاية احدهم في هذا الصدد والذي يلقب " بالجاحظ" فهو سيد هذه الصناعة لأسلوب الجزل ، وقد ظهرت فيه زمن عم بالفساد اختلت الموازين وما ساد فيه سوى الظلم ، والفساد، وفي ذلك يقول الجاحظ في رسالة إخوانية .

« حفظك الله من وقفة الله للقناعة ، واستعمله بالطاعة كتب إليك ، وحال حال من كشفت غمومه ، وأشكلت عليه أموره ، وأشبه عليه حال دهره ، ومخرج أمره ، وقل عنه من يثق بوفائه ، أو يحمى محبة إخوانه ، لا تمحى له زماننا ، وفساد أيامنا و دولة أئذالنا و قل من قدم الحياء على نفسه ، و حكم الصدق في قوله ، و اثر الحق في أموره ... » (1) . فهنا يظهر تعبير الجاحظ للذي أرسل له هذه الرسالة الإخوانية الذي كان بالنسبة له في مقام الإخوة ، معبرا له عن شعوره حيال ما يراه في بيئته التي كان يسود فيها الفساد و تدهور الأوضاع ، و انتشار الظلم الشنيع ، و يظهر هذا جليا في عبارات الجاحظ الواردة في رسالته كقوله : فساد أيامنا ، و دولة أئذالنا ، قل من قدم الحياء....

1- المرجع السابق ، ص 244 .

2- الرسائل الديوانية :

استمرت الحركة الأدبية في العصر العباسي الأول ، و تنوعت الفنون النثرية آنذاك و ظهر ما يسمى *بالرسائل الديوانية* ، فتنوعت الدواوين منها : ديوان الخراج و ديوان الجند ، و ديوان الخاتم ، و ديوان الجيش . و ديوان الرسائل ، و غيرها ، فالرسالة الديوانية هي التي تصدر عن دواوين الدولة ، و تتناول تصريف أعمال الدولة و ما يتصل بها من تولية الولاية ، و اخذ البيعة للخلفاء ، و ولاية العهود ، و من الفتوح و الجهاد ، و مواسم الحج ، و الأعياد، و الأمان ، و أخبار الولايات ، و أحوالها في المطر و الخصب ، و الجذب ، و عهود الخلفاء لأبنائهم ووصياهم ، ووصايا الوزراء و الحكام في تدبير السياسة و الحكم (1) . فهذه الرسائل تخص الدولة فقط و كل ما يتعلق بها من ولاء، و حكم، و سياسة، و أخبار الدول الأخرى، و أوضاعها في شتى الجوانب ، و المجالات سواءً اقتصادية ، سياسية ، اجتماعية ، ثقافية ، دينية ، إلى غير ذلك من الأمور .

و من الرسائل الديوانية في هذا العصر رسالة " محمد بن عبد الله بن طاهر" حاكم بغداد كان أدبيا بارعا ، و في الطبري رسالة له إلى عمال النواحي أعطاهم المعتر الحق بالتمكين بأعدائه يقول فيها : " أما بعد فإن زيغ الهوى صدف بكم عن حزم الرأي ، فاقمحكم حبائل الخط ، و لو ملكتم الحق عليكم ، و حكمتكم به لأوردكم البصيرة ، و نفي غيابه الحيرة ، و الآن فان تجنبوا السلم تحقنوا دماءكم و ترغدوا عيشكم ، و يصفح أمر المؤمنين عن جريرة جارمكم ، و يسبغ النعمة عليكم إن مضيتم من الله و رسوله ...". هنا في هذه الرسالة أبدأ الرأي ، و يتخللها هدف معين أي أنها مقيدة بالغرض الذي سيقنت إليه ، فهذه الرسالة الموجهة إلى العمال من قبل حاكم بغداد يوجههم فيها ، و يعزز فيهم روح المقاومة ، و التمكين بالعدو ، و تجنب السلم معه ، و مواجهة الصعاب ، و إيراد البصيرة لدى كل فرد (2) .

1- مصطفى البشير قط : المرجع السابق ، ص124.

2- ينظر : أمين أبو الليل ، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول ، ص222.

3 - التوقيعات :

تعد التوقيعات جنسا نثريا له سمات خاصة، وهي عبارات موجزة بليغة، تعود ملوك الفرس، ووزرائهم إن يوقعوا بها على ما يقدم عليهم من ظلمات الأفراد في الرعية، و شكواهم، وحاكاهم خلفاء بني العباس، ووزرائهم في هذا الصنع، و كانت تشيع في الناس، و يكتبها الكتاب، و يتحفظونها، و سمونها بالرفاع تشبيها لها برفاع الثياب، و قد ظهرت التوقيعات في الأدب العربي في صدر الإسلام عند الخلفاء الراشدين، و الخلفاء الأمويين، و كثرت في عهد بني العباس بسبب أن معظم وزرائهم، و كتابهم كانوا فرسا، فساروا على سنن آبائهم حتى أنشأوا فيما بعد ديوانا سموه " ديوان التوقيع"⁽¹⁾. التوقيعات تشبه الرسالة الديوانية إلى حد كبير، لكن تتميز عنها كونها قصيرة، و هذا دليل على أن الكتاب في هذا المقام يميلون إلى الإيجاز حد التوقيع، و تشبه الرسالة الديوانية في أنها تختص أيضا بأمر الدولة، و الحكم، و الملوك، و الوزراء و الخلفاء الراشدين .

ومن أعلام التوقيعات " جعفر البرمكي، و أبو جعفر المنصور، و صاحب بن عباد حيث قال في توقيعه: " أفسر هذا أم انتم لا تبصرون " استشهد بهذه الآية من القرآن الكريم في توقيعه، استحسانا لقصة أعجبه، و قال أيضا مخاطبا " فويل لهم مما كسبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون " فجعفر البرمكي في توقيعاته يكتب ضمنها آيات من القرآن الكريم، يختار منها ما يناسب أي موقف يرى أن تلك الآية تنطبق عليه، فيستشهد بها⁽²⁾ و هكذا كانت التوقيعات في العصر العباسي مثلها مثل الرسائل الديوانية، و فن التوقيع موجود منذ القديم في الأدب الفارسي، و وجد في الأدب العربي منذ عصر الإسلام و يروى انه أول توقيع كان لعمر حتى كتب إليه سعد بن أبي وقاص يستأذنه في بناء موقع له... " ابن ما يمكنك من الهواجس، و أذى المطر " و توقيع سعد بن أبي وقاص دليل على إعطائه حرية تامة في اختيار أي مكان يشاء، و ان يتصرف كما يريد⁽³⁾.

1- مصطفى البشير قط : المرجع السابق، ص 126- 127 .

2- ينظر : امين ابو الليل : المرجع السابق، ص 222- 223 .

3- محمد يونس عبد العال : في النثر العربي، قضايا، و فنون، و نصوص، ص 36 .

4- الرسائل الأدبية :

و هي الرسائل الفنية التي تأنق فيها أصحابها و اتخذوها موضوعا للعناية الفنية، سواء كانت عامة أم خاصة، و هي بهذا تتحوا و الى أسلوب متأنق، و الغلو في المبالغة في طرفي الأطناب ، والإيجاز بحسب مقتضيات الأحوال، و من الرسائل الأدبية نجد رسائل الجاحظ التي ترمز إلى هذا الأسلوب المتأنق، و من بين الرسائل الأدبية التي كتبها نذكر " رسالة الحاسد، و المحسود " التي يدور موضوعها حول أصل الحسد، و مظاهره، و خفاياه و تفشييه في العلماء أكثر من الجهلاء، و في الأقارب، و الصالحين، و الجيران، و أسباب ذلك نجده يقول فيها " و هب الله لك السلامة، و أدام لك الكرامة، و رزقك الاستقامة، و رفع عنك الندامة " (1) .

و يعرف الجاحظ الحسد في احد رسائله الأدبية: " و الحسد أبقاك الله داء ينهك الجسد، و يفسد الود، علاجه عسر و صاحبه ضجر، و هو باب غامض، و أمر متعذر، و ما ظهر منه فلا يداوى ، و ما بطن منه فمدوا به في عناء و لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم :

" دب إليكم داء الأمم من قبلكم الحسد، و البغضاء " قال بعض الناس لجلسائه : أي الناس أقل غفلة فقال بعضهم : صاحب ليل، و إنما همه أن يصبح، فقال انه لكذا، و ليس كذا، و قال بعضهم، المسافر إنما همه أن يقطع سفره... " (2) الجاحظ اعتبر الحسد مرض لا علاج له، و آفة تفسد الطبع و استشهد بقول الرسول صلى الله عليه و سلم : " الذي هو بنفسه اعتبر الحسد داء تفشى في الأمم السابقة " .

1- الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، الرسائل الأدبية ، دار مكتبة الهلال للطباعة و النشر، و التوزيع، الطبعة الأخيرة ، بيروت ، 2004 ، ص 116 .
2- ينظر : الجاحظ : المصدر نفسه ، ص 117 .

ب- الخطابة :

يعرف " ابن وهب " في كتابه " البرهان " الخطابة بقوله : " إن الخطابة مأخوذة من خطبت، اخطب، خطابة، كما يقال: كتبت، اكتب، كتابة و اشتق ذلك من "الخطب" و هو الأمر الجليل، لأنه إنما يقام الخطب في الأمور التي تُجَلُّ، و تُعْظَمُ، و الاسم منها خاطب مثل راحم، و الخطبة الواحدة من المصدر كالقومة من القيام، فأما المخاطبة فيقال: خاطبت مخاطبة، و الاسم "الخطاب"⁽¹⁾

و يرجع اهتمام العرب بجنس الخطابة إلى وقت مبكرا إذ كان العرب يلقبون الخطب التي تنال إعجابهم بالألقاب معينة تتم عن إعجابهم بها ، كما تتم عن احتوائها على المقاييس البلاغية المرسومة في أذهانهم ، كما ينبغي أن تكون عليه من حيث الجودة الفنية فقد أورد الجاحظ أن العرب سمت خطبة قيس بن خارجه " العذراء " ، لأنه كان أبا عذرها ⁽²⁾ . فالخطابة هي فن مشافهة الجمهور و إقناعه ، و استمالته ، و هي ذو قيمة ، و هذه القيمة تكمن في كونها سلاح المجتمع الإنساني في سلمه و حربه و في ترقيته نحو المثل الأعلى الذي يجب أن يقصد إليه ، لهذا كان العرب يلقبون الخطب بالألقاب الراقية لجودتها الفنية .

كما أطلق العرب ألقاباً على بعض الخطب ، فقد أطلقوا أيضاً ألقاباً على بعض الخطباء تمييزاً لهم عن غيرهم لبلاغتهم ، وحسن بيانهم كلقب " خطيب الشيطان " و " خطيب الله " ، حيث يقول في هذا الصدد الجاحظ " وكان أسد بن كزر يقال له " خطيب الشيطان " فلما استعمل خالد ابنه على العراق ، قيل له " خطيب الله " ⁽³⁾ وكل هذه الألقاب تبين جلاء الخطيب ، وبلاغته ، وتزيده فخراً وتعظماً من شأنه ، و تميزه عن غيره ، فالخطيب ليس كغيره من عامة الناس ، فهو فصيح اللسان ، يكسب السامع ، ويؤثر فيه ويقنعه ومن هذا تبين أن الخطابة فن نثري الغاية منه إقناع السامعين ، والتأثير في سلوكهم وعقولهم ، وعواطفهم بمعالجة موضوعات متعددة الجوانب حسب ما تمليه الظروف الاجتماعية .

1 - مصطفى البشير قط : المرجع السابق ، ص 95 - 96 .
 2 - الجاحظ : البيان ، والتبيين الج 1 ، تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي للطباعة ، و النشر والتوزيع ط 7، بيروت، 1998، ص 347 .
 3 - مصطفى البشير قط : المرجع نفسه ، ص 97 .

هذا عامة أما في العصر العباسي ، فقد نشطت الخطابة في ظروف سياسية إذ اتخذتها الثورة العباسية أداءها في بيان حق الإنسان في الحكم وكانوا يحسون في أول الأمر بأن أبناء عمهم العلويين يضطغنون عليهم بالتجريح ، والطعن العنيف ، على نحو ما يتضح في خطابة أبي العباس السفاح حين بويع بالخلافة في الكوفة وفيها نراه يتحدث عن رحمهم ، وقرابتهم للرسول صلى الله عليه وسلم ثانياً من القرآن الحكيم بعض الآيات الخاصة بأهل بيت النبوة من مثل " إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيراً " (1) فالثورة العباسية كانت سبباً هياً لظهور الخطابة وازدهارها ، وبياناً لحق الإنسان ، وكانت رداً على العلويين الذين كانوا أشد عداً على العباسيين ، ونجد أن الخطب كثر فيها استعمال آي القرآن الكريم ، والاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة .

دواعي الخطابة وموضوعاتها :

تعددت دواعي الخطابة في عصر نفوذ الخلفاء، وتتنوعت مظاهرها وكثرت ألوانها:

1. كانت الخطابة وسيلة للإقناع ، و التوطيد ، والتهديد ، فقد كانت الحاجة ماسة إليها في تثبيت الملك، ودعم الدولة ، وتوطيد أركان الخلافة، وإقناع الناس بأحقية بني العباس لها، أوفي مجادلة الخصوم، وتهديد المعرضين، والتشجيع على بني أمية.
2. استعملت كأداة تؤدي غرض ديني ، وبذلك يتذكر الناس الآخرة ، والتحذير من غرور الدنيا ، تؤدي المحافل العامة ، والأعياد الدينية .
- 3 . كما كانت لسان الوفود الذين يفيدون على دار الخلفاء ، أو الخلافة تأييداً لسياسة ، أو إظهار لمحبة ، أو طلباً لحاجة ، أو شكاية من مظلمة (2) ، وما يقرب من الخطابة في روعة أسلوبها ، وشدة تأثيرها الحوار الذي يدور بين البلغاء الفصحاء من خاصة القوم ، ورجال الدولة .

1- شوقي الضيف : تاريخ الأدب العربي، ج3 العصر العباسي الأول، دار المعارف كورنيش النيل للنشر والتوزيع ط 12 ، القاهرة، 1119 ، ص 449 .

2- أحمد محمد الحوفي : فن الخطابة ، نهضة مصر للطباعة ، والنشر والتوزيع ، 2003 ، ص 06 .

خصائصها :

امتازت الخطابة بجمال أسلوبها ، وفخامة ألفاظها ، وبعدها عن الحوشية ، والغرابية ، وعن الإبتدال ، و الإسفاف ، كما يعد أيضا عنصر القوة من ميزات الكبري فتكون لها قوة في التأثير ، وروعة تصويرها ، لكونها تحمل صبغة دينية ، وتأثرها بأسلوب القرآن الكريم ، و اعتمادها على الكثير من آياته .

والاستشهاد بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويكثر فيها أسلوب الحجاج

و معاني الوعد و الوعيد و التهديد ، والامتنان بالنعمة ، والشكر على كريم المهمة وجليل المودة وإضافة على ذلك أكسبتها الحضارة غزارة في المعاني ووفرة في المادة ورقة في الأساليب، مما ضاعف تأثيرها وزاد في بهائها ورونقها (1). وإن تحدثنا عن خصائص الخطابة فلن نعطيها حقها الكامل ، نظرا لرقى هذا الفن وفخامته ، وما زاده جمالا ، و قوة بالأخص هو تأثر بالقران الكريم المعجز في ألفاظه ، المنزه عن الخطأ ، وللاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة أضفى عليها الطابع الديني ، وبذلك تجسدت فيها الأخلاق ، والقيم السامية .

1- أمين ابو النيل : العصر العباسي الأول ص 220.

أشهر الخطباء :

قد نبغ في هذا العصر أعلام من الخطباء وفحول من البلغاء ممن تركت البيئة العربية القوية عليها بصماتها، ودونوا ملكات البلاغة، والخطابة من أصولهم العربية ومنهم نذكر الواصي (ت 329هـ) وأيضا نجد نجم السفاح، والمنصور المهدي، والرشيد، والأمين، والمأمون، ومن الأمراء: داوود بن علي (ت 133 هـ) وأخوه عبد الله، وصالح، وأبناؤه عبد الملك، وإسماعيل، وعبد الله، ومنهم كذلك سليمان بن علي، و ابنه جعفر، وبنوه سليمان، وداود، وأيوب....⁽¹⁾

كل من أولئك الخطباء كان لهم فضل كبير، و مكانة مرموقة في فن الخطبة جعلوا منه مثالا يحيا في النفوس التي تقدر قيمة هذا الفن ومدى مصداقيته، وأهميته في تعزيز الروابط بين الناس، وفي نشر القيم، والأخلاق الفاضلة في ثنايا المجتمعات، وتقوية الأواصر وتطهير القلوب .

1- أحمد محمد الحوفي : المرجع السابق ، ص07.

ت - المناظرات :

من أهم الفنون النثرية الجديدة التي طرأت على النثر العربي ، ويعزو الكثير من مؤرخي الأدب العربي، نمو المناظرات ، وازدهارها إلى طبقة المتكلمين ، وخاصة المعتزلة الذين اعتمدوا في نثر مبادئهم على الجدل ، والمناظرة ، وهما الوسيلة لتحقيق غاياتهم حتى ارتقت المناظرات إلى حد بعيد ، و انتشرت في مجالس الخلفاء ، والأمراء ، والمساجد والمنتديات، والأسواق، فبهرت الناس وجذبت منهم خلقا كثيرا ورغم كثرة المتكلمين من جميع الملل ، والفرق ، و المذاهب فللمعتزلة الفضل الأول في وضع الأسس الأولى لعلم الكلام ، وعلم البلاغة ، وعلم الجدل و المناظرة كما أن أثرهم واضح في النثر الفني ، و كذلك الشعر⁽¹⁾. كانت للمناظرات تأثيرا عظيما، و بارزا في الناس حيث بهرتهم ، و نالت استحسانهم، لأنها كانت تقام في الأماكن العمومية ، كالأسواق ، و المنتديات ، و المساجد، فوجدها الناس تمتاز بالمتعة ، لأنها كانت تبرز قدرة المناظرين الجدلية و الخطابية.

امتدت المناظرات إلى الكتب، والمصنفات ، فمثلا كتاب «الحيوان» للجاحظ " بني على مناظرة بين معبد ، و النظام في أيهما أفضل الكلب أم الديك ؟، و كان الجاحظ أكثر أدباء العصر العباسي الثاني ممن كانوا يجمعون المناظرات في كتبهم ، إذ أنه فصلها إلى مناظرات أدبية ، و مناظرات نحوية لغوية ، و مناظرات دينية قبلية⁽²⁾ . فالمناظرات ، أو الجدل لون من ألوان الخطابة خاصة أن المناظرات كثيرا ما كانت تعتقد في المساجد ، و أمام الجمهور إذ يتبارى المتناظرون في إبراز قدراتهم الجدلية ، حيث تهدف إلى كسب تأييد المتلقي عن طريق إشباع مشاعره ، و فكره معا حتى يتقبل ، و يوافق على القضية أو فعل مرغوب فيه ، أي موضوع المناظرة ، أو الخطاب .

1- أمين أبو الليل : المرجع السابق ، ص 181 .

2- المرجع نفسه ، ص 220 .

و قد انتشرت المناظرات في الأدب العربي منذ اندلاع الخلاف بين علي ، ومعاوية و بين أهل العراق ، و أهل الشام ، ثم بين هؤلاء جميعا ، و بين الخوارج اللذين خرجوا على الفريقين ، متبعين سبيلا خاصا بهم ، ويعد علم الكلام نقطة تقاطع الثقافة الإسلامية عقيدة ، و تشريعا ، و منطقا. (1) و ما يعكس أهمية المناظرات أنها استعملت في غرض أساسي الذي نشأت من أجله ، و هو الدفاع عن المذاهب و الديانات ، استعملت في أغراض أخرى كالدفاع عن الحقوق ، والتتصل في الاعتذارات ويرى " ابن وهب " صاحب البرهان أن المناظرات قسمان :

1- المناظرات المحمودة: وهي ما أريد بها إظهار الحق، و استعمل فيها الصدق.

2- المناظرات المذمومة: و هي ما أريد بها إظهار المماراة ، و الغلبة ، و طلب بها الرِّياء و السمعة (2) .

1- مصطفى البشير قط : مفهوم النثر الفني ، و أجناسه ، ص 104 .
2- مصطفى البشير قط : المرجع نفسه ، ص106.

ث - الأمثال :

إذا تصفحنا كتب التراث بحثنا عن تعريف للمثل ، فإننا نجد بعض المؤلفات المتخصصة للأمثال ، تتحدث عن تعريف للمثل من الناحية اللغوية ، فالمبرد يعرفه بقوله : « المثل مأخوذ من المثل ، وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول و الأصل في التشبيه ، فقولهم : مثل بين...إذا انتصب ، معناه أشبه الصورة المنتصبة وفلان امثل من فلان » أي أشبه لماله من الفضل ، و المثل القصاص لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول » ، فالمعنى اللغوي للمثل يعود إلى التشبيه ، و نستطيع أن نستشف المعنى الاصطلاحي للمثل من خلال ما ورد في تعريف المبرد السالف ، وهو : « قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول »⁽¹⁾ و يتبين من خلال هذا أن القول لا يمكن أن يكون مثلاً إلا إذا انتشر ، و ذاع ، و سار في الأفق ، و المبرد هنا لم يحدد لنا الأساس الذي يقوم عليه المثل .

و يحدد أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 223 هـ) الخصائص الفنية التي تتميز بها الأمثال بقوله عنها بأنها « حكمة العرب في الجاهلية و الإسلام ». و بها كانت تعارض كلامها ، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال : إيجاز اللفظ ، و إصابة المعنى ، و حسن التشبيه ، و قد ضربها النبي صلى الله عليه وسلم ، و تمثل بها هو ، و من بعده من السلف ، و يتفق أستاذ الجاحظ إبراهيم النظام (ت 221 هـ) مع أبي عبيد في تحديد الخصائص الفنية للمثل ، إذ يقول: « يجتمع في المثل أربعة ، لا تجتمع في غيره من الكلام، و إصابة المعنى، و حسن التشبيه، و جودة الكناية، فهو نهاية البلاغة » وهي خصائص كما نرى ترجع إلى الإيجاز الشديد ، التلويح بدل من التصريح ، وجمال التشبيه⁽²⁾.

1- المرجع السابق ، ص 115 .
2- مصطفى البشير قط : المرجع نفسه، ص 116.

الجاحظ ينص على الطابع الشعبي للأمثال ، فهي أكثر الأجناس النثرية دوراناً على ألسنة الناس لما يرون من فائدتها ، و منفعتها ، في حين " ابن وهب" لم ينص صراحة على أن الأمثال جنس نثري ، غير أنه يبين قيمة الأمثال ، وحاجة الناس إليها، و أهميتها الوظيفية بقوله :« و أما الأمثال فإن الحكماء ، و العلماء ، و الأدباء لم يزالوا يضربون الأمثال ، و يبينون للناس تصرف الأحوال بالنظائر ، و الأشكال يرون هذا النوع من القول انجح مطلباً و اقرب مذهباً ، و لذلك... جعلت القدماء أكثر آدابها ، و ما دونته من علومها بالأمثال ، و القصص عن الأمم ، و نطقت ببعضه على ألسن الطير ، و الوحش ، و إنما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها ، و المقدمات مضمونة إلى نتائجها » فالجاحظ يؤكد على أن الأمثال مصدرها الشعب فهي متوارثة جيل عن جيل لما تحملها من فائدة ، و منفعة ، أما " ابن وهب" فلم يعتبر الأمثال جنس نثري لكنه لم ينفي قيمتها ، و حاجة الناس إليها لما تؤديه من وظيفة هامة فيتبين من خلال قوله أن الحكماء ، و العلماء ، و الأدباء لم يزالوا يضربون الأمثال ، و أن هذا النوع محبوب إلى الناس ، لأنه يحكي قصص الأمم ، و يبين العواقب ، و النتائج (1) .

1- ينظر : المرجع السابق ، ص 117 .

ج - القصص الديني :

يعتبر لون فني آخر من الفنون النثرية ، كان منطلقه من القصص الديني ، لأنه منحى ديني ، وكان مرتبط ببعض القصص ، و الخطباء ، و الوعاظ ، ومن زاوية أخرى نلاحظ أنه مرتبط بالسياسة التي كانت من ورائه في أغلب الأحيان ، و قد ارتبط القصص بالمساجد ، فهو المكان الذي تلقى فيه القصص ، و المواعظ ، و إن عدنا إلى نشأة القصص فنجد نشأته تعود إلى صدور الإسلام في عهد "عمر بن الخطاب" أو "عثمان بن عفان" على خلاف بين الروايات ، و أول من فعل ذلك "تميم الداري" في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان تميم نصرانيا يمنية أسلم في السنة التاسعة من الهجرة ، وكان يترهب ، و يقال أنه أول من أسرج السرج في المسجد ، وهي بقايا رواسب نصرانية ضلت عنده بعد إسلامه ، اتخذت السياسة هذا النوع من الفن كسلاح من أسلحتها كما فعلت مع الشعر لكونه فن من القصص نما في سرعة شديدة ، و لاتساع طاقة و عظمة أثره ، و لكثرة الإقبال عليه ، لجأت إلى السياسة مع بداية الحروب ، و الفتن السياسية ⁽¹⁾ فمن خلال التسمية «القصص الديني» نفهم أن منطلق هذا القصص الدين ، و ارتبط ارتباطا وثيقا بالمساجد ، حيث يجتمع الناس لأداء الصلاة ، و قبل ذلك ، أو بعده تلقى عليهم القصص ، و المواعظ ، و تعود نشأته إلى صدر الإسلام ، و كان تميم الداري آنذاك من بين القصاص الذين كانوا يلقون قصصهم الدينية في المساجد ليأخذ الناس منها العبرة ، و معرفة قصص الأمم السابقة .

1-حسين حسن الحاج : إعلام في النثر العباسي ، ص 522 .

هناك مصادر يعتمدها القصص ليستمدوا مادتهم منها :

مصدر عربي يعتمد على القرآن ، وعلى الأحاديث ، و الروايات ، و ما كانت تتحدث به العرب من الأخبار ، و الأيام ، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، و غزواته ، وأخبار الفتوح ، و منها مصدر يهودي نصراني : و هو ما كان يصل هؤلاء القصص أهل الكتاب من أخبار الأشياء و الرهبان ، و الأخبار ، و أيضا هنالك مصدر فارسي وهو ما كان منتشرا في العراق من أخبار ، و أساطير الفرس ، و الهنود ، و غيرهم (1) فهذه المصادر كانت سندا ، أو عوننا للقصص في تحصيل مادتهم القصصية .

هناك نوعان من القصص :

قصص العامة ، و قصص الخاصة ، أما القصص العامة فهو أن يجتمع الناس في أوقات فراغهم فيجلس القصص ، فيقص عليهم خليط عجيب من الأسماء ، و الخرافات ، و الأساطير ، و قد خلف هؤلاء القصص آثار رائعة ، و من يجمعها لفاقت الإلياذة ، والأوديسة ، أما النوع الثاني قصص الخاصة ، وهو الذي يعنينا الآن ، كما قلنا ذو صبغة دينية، و نهض بها قصاص محترفون من العلماء ، و الرواة (2). القصص بطابعها الفني تعرف توسعا كبيرا. تكونت من الخرافات ، و الأساطير ، و أحاديث العامة من الناس ، أثناء تجمعاتهم ، فلو أحصينا هذه القصص ما استطعنا تحديد كمها الهائل ، هذا فيما يخص العامة ، أما القصص الديني فهي قصص الوعظ و التوجيه يقصها المحترفون ، و العلماء في أماكن محترمة كالمساجد هدفها توجيه الناس ، و إرساء القيم الأخلاقية الفاضلة ، خلافا لقصص الخرافات و المتعة ، و التسلية .

1- المرجع السابق ،ص 552 .

2- حسين حسن الحاج : المرجع نفسه ، ص 523 .

ويذكر " الجاحظ" في كتابه " البيان و التبيين" : « أن أبا علي الأسواري قص في المسجد ستا و ثلاثين سنة ، فابتدأ لهم في تفسير سورة البقرة ، فما ضم القران حتى مات ، لأنه كان حافظا للسير ، و لوجوه التأويلات ، فكان ربما فسر آية واحدة في عدة أسابيع ، كأن الآية ذكر فيها يوم بدر ، و كان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق في ذلك من الأحاديث كثيرا ، و كان يقص في فنون من القصص ، و يجعل القران نصيبا من ذلك ». و من حديث الجاحظ يتبين أن القاص الذي يقص في المسجد ليس كبقية القصاص من العامة ، بل يفوقهم درجة في أنه يلم بكل الجوانب المعرفية الدينية ، حافظا للقران الكريم شرحا ، و تفسيراً مما ورد عن أبا علي الأسواري أنه قص في المسجد ستا و ثلاثين سنة ، و فسر سورة البقرة ، و خاتما للقرآن الكريم ، و حافظا أيضا من الأحاديث النبوية ، وهذه هي صفات القاص للقصص الديني. (1) .

1- ينظر: الجاحظ : البيان ، و التبيين ، ج 1 ، ص 368 .

الفصل الثاني

الفصل الثاني:

تمهيد:

1) من أعاجيب الحيّات

2) دراسة النص دراسة بلاغية:

أ- الألفاظ والعبارات

ب- المعاني

ج- الصور البيانية:

- الإستعارة

- الكناية

- التشبيه

د- المحسنات البديعية

- الطباق

الجناس

- السجع

- الطباق

تمهيد:

كان الجاحظ نادرة زمانه، بما وهبه الله من عقلٍ راجحٍ، وذكاء متوقد، وبما جمع من ثقافة واسعة، وعلم غزير، استوعب مادتها ممن لقي من العلماء، ومن جادل من الفحول، ومما قرأ من الكتب التي كان يستأجر حوانيتها، ويقيم فيها ليل نهار حتى اكتملت له أداة العالم، ودقة الباحث وحبّة المستدل المقنع، ولغة الأديب المعبر، وانعكس ذلك على صفحات كتبه، ومؤلفاته التي تُعد صورةً أمينة لعلم الجاحظ، وعقله، والتي أحلته مكاناً علياً بين أعلام الكتاب الذين طوّروا النثر العربي، وارتقوا بالثقافة العربية، وكتاب الحيوان يتناول فيه الجاحظ كثيراً مما خلق الله تعالى في عالم الحيوان الواسع فيذكر أعاجيب الحيوان وغرائزه، وطباعه، وما يرتبط به من حكايات، ونوادر، وأخبار، وأشعار، وقد يعرض نقداً، أو يبدي تشككاً فيما يدعو فيه الأمر إلى ذلك شأنه في هذا شأن العلماء، والمحققين، ومن أوضح مزايا هذا الكتاب مزجه العلم بالأدب⁽¹⁾. ونرى ذلك واضحاً في نص "من أعاجيب الحيات" من كتاب "الحيوان" هي حكاية سمعها من رجال بني العنبر عن حيّة كانت تحتال لصيد بعض العصافير، وصغار الطير والحشرات ثمّ عقّب الجاحظ بالتعليق على الخبر المروي عن بني العنبر، وهاتان هما الفكرتان الأساسيتان في النص، وإننا لنرى في هذا النص طريقة الجاحظ العلمية في إسناد الخبر إلى رواّته بأسمائهم ونسبهم، ثمّ في عرض الموضوع، كما روى، وتأخير التعليق عليه إلى بعد، ثمّ في تحكيم العقل، ونرى طريقة الجاحظ الفكرية في إظهار الشكّ حول صحّة الخبر المروي بذكر كلمة "المكفوف" إلى جانب اسم الراوي وبالتعبير بكلمة "زعموا"، ثمّ بإظهار تعجّبه، ودهشته من بعض ما يحدث من الحيّة، والطائر، ممّا لا يقبله العقل ولا يصدّقه.

1- رابع بونار: المختار في الأدب والنصوص والبلاغة والتراجم العربية، منشورات المعهد التربوي الوطني، د ط، الجزائر،

من أعاجيب الحيات:

«وحدثنا جعفر أبو جعفر المكفوف النحوي، والعنبري، وأخوه روح الكاتب ورجال من بني العنبر: أن عندهم في رمال بلعنبر حية تصيد العصافير وصغار الطير بأعجب صيد زعموا أنها إذا انتصف النهار واشتد الحر في رمال بلعنبر وامتنعت الأرض على الحافي والمنتعل ورمض الجندب. غمست هذه الحية ذنبها في الرمل، ثم انتصبت كأنها رمحٌ مركزٌ، أو عود ثابت، فيجيء الطائر الصغير، أو الجراد، فإذا رأى عوداً قائماً، وكره الوقوع على الرمل لشدة حره وقع على رأس الحية على أنها عود فإذا وقع على رأسها قبضت عليه فإذا كان جراداً أو جعلاً. أو بعض ما لا يشبعها مثله ابتلعت، وانصرفت، وأن ذلك دأبها ما منع الرمل جانبها في الصيف، والقيظ في انتصاف النهار والهجرة، وذلك أن الطائر لا يشك أن الحية عود وأنه سيقوم له مقام الجذل للحرباء إلى أن يسكن الحر ووهج الرمل.

وفي هذا الحديث من العجب أن تكون الحية تهدي لمثل هذه الحيلة، وفيه جهل الطائر بفرق ما بين الحيوان والعود، وفيه قلةً اكرثا الحية للرمل الذي عاد كالجمر وصلح أن يكون ملّة، وموضعا للخبزة، ثم يشتمل ذلك الرمل على هذه الصفة فهذه أعجوبة من أعاجيب من في الحيات.

وزعم لي رجال من الصقالبة خصيان، وفحول أن الحية في بلادهم تأتي البقرة المحفلة فتطوي على فخذها، وركبتيها إلى عراقبيها ثم تشخص صدرها نحو أخلاف ضرعها حتى تلتقم الخالف، فلا تستطيع البقرة مع قوتها بأن تترمرم. فلا تزال تمص اللبن، وكلما امتصت استرخت، فإذا كانت تتلف أرسلتها. وزعمو أن تلك البقرة إما أن تموت، إما أن يصيبها في ضرعها فساد شديد تعسر مداواته والحية تُعجب باللبن، وإذا وجدت الأفاعي الإناء غير مخمرٍ كرعته فيه، وربما مجت فيه ما صار في جوفها، فيصيب ضارب ذلك اللبن أذى ومكروه كثير، ويقال: إن اللبن محتضر، وقد ذهب ناسٌ إلى العمار على قولهم: إن الثوب المعصفر محتضر فظن كثيرٌ من العلماء أن المعنى هو اللبن، إنما رجع إلى الحيات.

والحيّة تُعجب باللفّاح والبطيخ، وبالحرّف، والخردل المرخوف، وتكره ريح السذاب، والشيح كما تكره الوزغ ريح الزعفران.

وليس في الأرض شيء جسمه مثل جسم الحيّة إلاّ والحيّة أقوى بدناً منه وأضعافاً، ومن قوتها أنها إذا أدخلت رأسها في جحرها، أو في صدع إلى صدرها لم يستطع أقوى الناس، وهو قابض على ذنبها بكلتا يديه أن يخرجها بشدة اعتمادها وتعاون أجزائها، وليست بذات قوائم لها أظفاراً أو مخالب أو أظلاف تشبها في الأرض، وتتشبث بها، وتعتمد عليها، وربما تقطعت في يدي الجاذب لها، مع أنّها لدنة ملساء علكة، فيحتاج الرفيق في أمرها عند ذلك، أن يرسلها من يديه بعض الإرسال، ثمّ ينشّطها كالمختطف، والمختلس، وربما انقطع ذنبها في يد الجاذب لها فأما أذنان الأفاعي فإنها تُنتب.

ومن عجيب ما فيها من هذا الباب، أنّ نابها يُقطع بالكاز، فينبت حتى يتمّ نباته في أقل من ثلاث، والخطّاف في هذا الباب خلاف الخنزير لأنّ الخطّاف إذا قلمت إحدى عينيه رجعت، وعين البرذون يركبها البياض، فيذهب في أيام يسرة وناب الأفعى يُحتال بأن يدخل في فيها حمّاص أترج، ويُطبّق لحيها الأعلى على الأسفل فلا تقتل بعضها أياماً سالحة.

والمغناطيس الجاذب للحديد إذا حُكّ عليه الثوم لم يجذب الحديد»⁽¹⁾.

1- الجاحظ: الحيوان، م3، ج4، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998، ص 313-314.

دراسة النص دراسة بلاغية:

إن أسلوب الجاحظ في هذا النص لم يكن أسلوبا علميا جافا، ولم يكن أسلوبا أدبيا صرفا، وغنما كان أسلوبا إجتمعت فيه بعض خصائص الأسلوب العلمي مع بعض خصائص الأسلوب الأدبي، وكان نتاج ذلك الأسلوب الذي الأسلوب الذي يسميه البلاغيون: الأسلوب العلمي المتأدب، والأمر الذي جعل أسلوب النص من هذا النوع هو الإعتماد على العقل والمنطق والتعبير عن المعنى بأدق عبارة، وأوضح لفظ مع حسن السبك، وجودة التراكيب، وجمال التعبير⁽¹⁾ وبعد هذا نخرج إلى العناصر المعتمدة من طرفه، أو العناصر المكونة لأسلوبه في هذا النص من خلال تفحصنا للألفاظ والعبارات التي وظفها المعاني والصور البيانية.

أ: الألفاظ والعبارات:

الجاحظ في أسلوبه فصيح الألفاظ متين التركيب، يقوم باقتناء ألفاظه بمهارة وذكاء كبير حيث نجده يستعمل كلمات، أو ألفاظ متماثلة في الجرس، مع مهارة في تقليب العبارة، وجمع بين المترادفات والمعروف أن للجاحظ خاصية إستقراء الألفاظ للمعنى الواحد، وجمعها، فينعكس ذلك على كل واحد من صورة في لفظ من تلك الألفاظ نحبا، وتثير فينا شعورا نميل إليه، وعلى هذا نميل إلى شخصية الجاحظ وإلى أسلوبه لأننا نجد في ألفاظه مشاعرنا، وخيالنا⁽²⁾، ومثال لذلك في هذا النص تلمح أنه جمع بين مترادفين "الصيف، القيظ"، وأيضا "إنتصاف النهار، الهاجرة" وهي وقت إشتداد الحر عند الظهيرة، ونجد أيضا مترادفين آخرين "أذى ومكروه" "مركز، ثابت"، "أظفار، مخالبا، أضلاف"، "لدنة، ملساء، علكة".

ومن الألفاظ المتمثلة في الجرس: "فخذيها، ركبتيها، عراقبيها".
وأيضا "معصفر، محتضر"، وأيضا نلاحظ ذلك في قوله: "أدخلت رأسها في جحرها أو في صدع إلى صدرها"⁽³⁾.

1- رابح بونار، المرجع السابق، ص 179.

2- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، دار المعارف للنشر، ط 4، نقلا عن المسعودي مروج الذهب، ص 109، دت، ص 02.

3- الجاحظ: الحيوان، ج 4، ص 313، 314.

ومن مزاياه في هذا النص ذلك الطابع الخاص فهو يبسط لنا العبارة، ويرقق من حواشيتها، حتى لتظن أنه قد هبط عن مستوى البلغاء، فإذا تأملت، وحاولت تقليده فيها عجزت لا محالة، هذه هي سمة البلغاء المحلقين في سماء البيان⁽¹⁾، ونلاحظ ذلك جيدا في قوله: "وذلك أن الطائر لا يشك أن الحية عود، وأنه سيقوم له مقام الجذل للحرباء إلى أن يسكن الحر، ووهج الرمل"⁽²⁾ ومن هذا الجاحظ يفسر ويبسط العبارة، بأن الطائر لا يشك في الحية حين انتصابها في الرمل، لظنه إياها عود وكأنها الجذل أي كبقية جذع الشجرة التي يبست، وذهبت فروعها، التي تركز عليها الحرباء إلى وقت زوال الحر⁽³⁾ ولو حاولنا تقليد الجاحظ في مثل هذا الأسلوب لعجزنا كل العجز على ذلك.

وأیضا نلمح ذلك بجلاء في قوله: "وفيه قلة اكرات الحية للرمل الذي عاد كالجمر وصلاح أن يكون ملة، وموضعا للخبزة"⁽⁴⁾ ومن هذا يبين مدى شدة الحر، حتى أصبح الرمل كالجمر، وصلاح أن يكون ملة يقصد به الرماد الحار الذي تخلفه النار بعد إنطفائها، وبسط ذلك بمثال حين قال: موضعا للخبزة، أي شدة حرارة الموقد الذي يطهى فيه الخبز.

ب : المعاني:

كما هو معروف أن الجاحظ يعني بألفاظه، ومعانيه جميعا دون أن يتعدى أو يتخلى أحد العنصرين المذكورين (المعنى واللفظ) على الآخر، ومعنى أن لكل لفظة موضعها من الكلام، ومن المعنى الذي تؤديه⁽⁵⁾ ويتأكد ذلك في قوله: "إن اللين محتضر، وقد ذهب ناس إلى العمار على قولهم، إن الثوب المعصفر محتضر، فظن كثير من العلماء أن المعنى هو اللين، إنما رجع إلى الحيات."⁽⁶⁾ حين ذهب الناس

1- ولد يوسف مصطفى، من أعلام النثر الفني: الجاحظ، وطه حسين، تيزي وزو، 2002، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ص 15، نقلا عن طه الحاجري، الجاحظ، حياته وآثاره، دار المعارف، د ط، مصر، 1969 ص 179.

2- الجاحظ : المصدر السابق ، ص 313.

3- المصدر نفسه ، ص 313.

4- المصدر نفسه ، ص 313.

5- الجاحظ : البيان و التبيين ، دار الكتب العلمية ، ط7، بيروت ، 1991 ، ص 8.

6- الجاحظ : الحيوان ، ج4 ، ص 314.

إلى أن الثوب المعصفر محتضر، فلم يكن المقصود بالمحتضر الثوب، وإنما المعنى هنا هو "اللبن".

ج: الصور البيانية والمحسنات البديعية:

الجاحظ رجل الإعتزال، أي رجل العقل، والجدل يجري وراء الحقيقة بكل قوامه، ويسعى جاهدا للتعبير، واضحا، ودقيقا، قريبا إلى الإفهام، ولأجل ذلك يستغني عن أساليب المجاز، وإن عمد إليها كالإستعارة والتشبيه والكناية، ومن المحسنات البديعية، الطباق، الجناس، السجع، المقابلة، وهذا لأجل الزخرفة، وتطلب الصنعة، ومن ثم فإن نصوص في (الحيوان)، ومن بينها نص "من أعاجيب الحيات" الجيدة البعيدة كل البعد عن التعقيد والإغراب⁽¹⁾، فالجاحظ وظف في هذا النص الكثير من الصور البيانية، وجعله زاخرا بأساليب البيان والبديع، ونستنتج ذلك من خلال تحليلنا للنص فنجد:

1- الصور البيانية:

* التشبيه:

يعتبر التشبيه فنا بيانيا، وأكثر الأنواع البلاغية أهمية فنجد الكثير من الأدباء والشعراء إعتدوا عليه كأداة لتصوير ما بداخل أنفسهم، وأفكارهم عن طريق الشعر، والنثر فالجاحظ نظر إليه مثلما نظر إلى مواضيع أخرى لا كوسيلة للتبليغ أو لإحراز الأثر الفني في النفوس فقط، ولكن كوسيلة لتقويم الفرد، والتأثير في أخلاقه وتصرفاته، وما يمكن إستخلاصه عند الجاحظ هو مرادفته التشبيه للمشكلة⁽²⁾ فالجاحظ ليس غرضه في إستعمال التشبيه من أجل تأدية وظيفة جمالية وإمتاع النفوس بل لإهتمامه بالفرد، وسلوكاته.

والتشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في وجه أو أكثر من الوجوه أو في معنى أو أكثر⁽³⁾ فإذن التشبيه إلحاق أمر بأمر في وصف بأداة لغرض، والأمر الأول يسمى المشبه، والثاني المشبه به، والوصف وجه الشبه والأداة الكاف ونحوها

1- ينظر : مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمذاني ، الدار العصرية اللبنانية ، ط 1 ، القاهرة ، 2003 ، ص 08.
2- محمد الصغير بناني : النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط الجزائر، 1994 ، ص 299.
3- غازي يموت : علم أساليب البيان، دار المكر اللبناني للطباعة والنشر ، ط 2 ، بيروت ، 1990 ، ص 94.

ومثال ذلك ما ورد في نص "من أعاجيب الحيات" في قول الجاحظ: "غمست هذه الحية ذنبها في الرمل كأنها رمح مركز" (1).

فالجاحظ في هذا القول شبه الحية بالرمح في الركيزة، وهذا النوع من التشبيه هو التشبيه التام، لأنه ذكرت فيه كل الأركان الأربعة المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه، فالمشبه هو الحية والمشبه به الرمح، وأداة التشبيه الكاف، ووجه الشبه "الإنصاف والركيزة"، ومثال آخر في هذا النوع من التشبيه التام، قوله أيضا: "الرمل الذي عاد كالجمر وصلح أن يكون ملة، وموضعا للخبزة" (2) فهنا شبه الجاحظ الرمل بالجمر في شدة الحر، ووجه الشبه بينهما هو "صلح أن يكون ملة، وموضعا للخبزة".

ونلمس نوع ثاني من التشبيه وهو التشبيه المرسل في قوله: "فيحتاج الرفيق في أمرها عند ذلك أن يرسلها من يديه بعض الإرسال، ثم ينشطها كالمختطف" (3) فهنا في هذا المثال شبه الجاحظ الرفيق بالمختطف ووجه الشبه بينهما هو الإرسال والتنشيط، فمن خلال هذا النوع من التشبيه يبين حال المشبه، وأيضا قد وظف الجاحظ نوع ثالث من التشبيه وهو التشبيه البليغ، ونكتشفه من خلال قوله: "وذلك أن الطائر لا يشك أن الحية عود" (4)، فشبه هنا الجاحظ الحية بالعود، دون أن تذكر أداة التشبيه ووجه الشبه، فالتشبيه قائم على التشبيه البليغ مبالغة وإغراقا في ادعاء أن المشبه هو المشبه به نفسه، فحذف الأداة يوحي بتساوي الطرفين في صفة، وهذا يفسح في الخيال لتصور هذه الصفات وغرضه بيان حال المشبه به.

ومن خلال جولتنا في ثنايا هذا النص نلمح مدى مهارة الجاحظ في توظيف التشبيه ويجلب إنتباه القارئ ودليل ذلك قوله: "الحية تعجب باللفاح والبطيخ وبالحرث والخردل المرخوف، وتكره ريح السذاب، والشيح كما تكره الوزغ ريح الزعفران" (5) وهنا الجاحظ شبه الحية بالوزغ في صفة الكره للرائحة وهذا النوع من التشبيه فيه زخرف لفظي، ومتعة التذوق وأثر جمالي في النص.

1- الجاحظ: الحيوان، ج 4، ص 313.

2- الجاحظ: الحيوان، ج 4، ص 313.

3- المصدر نفسه، ص 313.

4- المصدر نفسه، ص 313.

5- المصدر نفسه، ص 314.

إذا للتشبيه أثر عظيم في التعبير عن المعاني، ونقل الأفكار وإمتاع النفوس بالصور والأخيلة، وتقريب الكلام إلى الأذهان من أرض الواقع إلى فضاء الخيال⁽¹⁾، وكلما تدرج المرء في هذا الإرتفاع كان تصويره أبعد أثرا في القلب، وأشد رسوخا في النفس.

* الإستعارة :

تعد الإستعارة من بين الصور البلاغية التي وجدت عناية بالغة خاصة عند الجرجاني وعرفها بقوله: "إن الإستعارة في الجملة أن يكون اللفظ أصل في الوضع الغوي، معروف، تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم"⁽²⁾، ومن هنا يتبين أن الإستعارة ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة، أي لفظ وضع في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

وتنقسم الإستعارة إلى قسمين الإستعارة التصريحية وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه، والإستعارة المكنية هي ما حذف فيها المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه⁽³⁾، ومن ذلك نجد الجاحظ وظف في نص من أعاجيب الحيات الإستعارة في قوله: "وأنه سيقوم مقام الجذل للحرباء، إلى أن يسكن الحر ووهج الرمل"⁽⁴⁾، في هذا المقام إستعارة تصريحية، وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه، فالمشبه به هو "الجذل" وهو نوع من جذع الشجرة التي يبست، وذهبت فروعها التي تركز عليها الحرباء، والمشبه محذوف وهي الحية"، ووجه الشبه في أن كلا من الحية والجذل لهما نفس مظهر الخديعة وقد وظف الجاحظ أيضا في هذا الصدد الإستعارة المكنية ويتجلى ذلك في قوله: "من العجب أن تكون الحية تهتدي لمثل هذه الحيلة"⁽⁵⁾ فقد شبه الجاحظ هنا الحية بالإنسان في الإهتداء بالحيل، لأن الإنسان هو الذي يتميز باستعمال العقل، وقد خلقت لنا هذه الصورة البيانية جمالية في هذا النص ووضحت المعنى المراد إيصاله، وأيضا نلمس مثالا آخر من هذا النوع من الإستعارة في قول

1- غازي يموت : المرجع السابق ، ص 183.

2- عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، علق عليه محمود شاكر ، دار المدني ، ط1 ، مكة ، 1991 ، ص 20.

3- غازي يموت : المرجع نفسه ، ص 249.

4- الجاحظ : الحيوان ، ج 4 ، ص 313.

5- المصدر نفسه : ص 313.

الجاحظ" وإذا وجدت الأفاعي الإناء غير مخمر كرعته فيه⁽¹⁾ حيث هنا شبه الجاحظ الحية بكائن له رجلين لأن "كرع" تعني حركة الرجل، والمتفق عليه أن الحية ليس لها أرجل، فحذف المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهي لفظة كرع. وهناك أيضا إستعارة مكنية أخرى في قوله: "وعين البرذون يركبها البياض"⁽²⁾، وهنا شخص الجاحظ البياض، وكأنه فارس، فالبياض في هذا القول اتحد مع الفارس في صفة الركوب، ومن هذا نستنتج أن الإستعارة أبلغ من التشبيه، وأعمق أثرا وأشد لصوقا بالنفس، وفكرا عميقا وخيالا واسعا مجنحا⁽³⁾ فللحصول على صورة التشبيه الخفي المستور الذي تتضمنه الإستعارة يجب أن نملك القدرة على التأمل والتأويل والتوليد.

* الكناية:

الكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى⁽⁴⁾ أي يراد بها دلالة على معنى من المعاني، فلا يأتي اللفظ الدال على ذلك بل بلفظ يدل على معنى هو رديفه، وتابع له، وبعد تجولنا وغوصنا في بحر هذا النص الواسع – من أعاجيب الحيات – ألفينا أنه زاخر بالكنايات، ومنها قول الجاحظ: "وفيه قلة اكتراث الحية للرمل"⁽⁵⁾ وهي كناية عن صفة "التحمل" والجلد أي قوة مقاومة حر الرمل ومثال آخر عن هذا النوع من الكناية قوله: "وربما إنقطع ذنبها في يد الجاذب لها"⁽⁶⁾ فهي كناية عن صفة القوة، والإرتكاز التي تملكها الحية، وأيضا ورد في نصه الذي بين أيدينا نوع ثان من الكناية، وهو الكناية عن موصوف، في قوله: "... وصلاح أن يكون موضعا للخبزة..."⁽⁷⁾، وفي هذا كناية عن شدة حر الرمل، والرمل هو الموصوف في هذا المثال، ونلاحظ مثال آخر عن هذا الصنف من الكناية قوله

1- المصدر السابق، ص 314.

2- الجاحظ: المصدر السابق، ص 314.

3- غازي يموت: المرجع السابق، ص 247.

4- المرجع نفسه، ص 283.

5- الجاحظ: المصدر نفسه، ص 313.

6- المصدر نفسه، ص 314.

7- المصدر نفسه، ص 314.

أيضا: "إن الثوب المعصفر محتضر"⁽¹⁾، حيث حذف الموصوف، وهو سم الحية وتركت صفته وهي "المعصفر".

والكناية في هذا النص صنعت محاسن عديدة، وغاية لا يقوى على الوصول إليها إلا كل بليغ متمرس لطف طبعه، وصفت قريحته مثل الجاحظ. والسر في محاسن الكناية أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها والقضية في طيها برهانها⁽²⁾، فالكناية تضع المعاني في صور المحسنات، ولاشك أن هذه خاصية الفنون والكناية تعبر عن المبالغة في الوصف.

د: المحسنات البديعية:

البديع علم يعرف وجوه تحسين الكلام المطابق لمقتضى الحال، وهذه الوجوه ما يرجع منها إلى تحسين المعنى يسمى "بالمحسنات المعنوية" وما يرجع منها إلى تحسين اللفظ يسمى "بالمحسنات اللفظية"⁽³⁾، فقد حلّى الجاحظ نصه بحلي من المحسنات البديعية نذكر أولها:

* الجناس:

استعمل الجاحظ جملة من الألفاظ المتشابهة في الشكل، والمختلفة في المعنى وعلى سبيل المثال لفظتا: "رجال، رمال"، وهي تتدرج ضمن الجناس الناقص، وأيضا نجد من نفس هذا الشكل من الجناس لفظتا "خلاف، خطاف"، فالجناس هنا أدى دورا هاما، وبارزا في تحسين المعنى، وتأدية وظيفة جمالية .

* السجع:

هو توافق الفاصلتين نثرا في الحرف الأخير⁽⁴⁾، وفي نص "من أعاجيب الحيات" تبين أن الجاحظ أحسن توظيف السجع بأسلوبه الراقى، الماهر، ودليل ذلك قوله: "تصيد العصافير، وصغار الطير" ... "ومن قوتها أن إذا أدخلت رأسها في جحرها، أو في صدع صدرها، وهو قابض بكلتا يديه أن يخرجها لشدة إعتماها وتعاون أجزائها".... "تتشبث بها وتعتمد عليها، وربما تقطعت في يدي الجاذب

1- المصدر نفسه ، ص 314.

2- غازي يموت: المرجع السابق ، ص 290.

3- حفني ناصف: قواعد اللغة العربية ، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ط 10 ، مصر ، دت ، ص 132.

4- حفني ناصف: المرجع نفسه ، ص 136.

لها"...."فيحتاج الرفيق في أمرها عند ذلك أن يرسلها"...."والمغناطيس الجاذب للحديد إذا حك عليه الثوم لم يجذب الحديد"...."فتتطوي على فخذيه، وركبتها إلى عراقبيها ثم تشخص صدرها، نحو أخلاف ضرعها"...."كلما مصت إسترخت"⁽¹⁾ فقد خلق هذا التوافق في الفواصل جرسا موسيقيا تطرب له آذان السامعين، وزاد المعنى أكثر رونقا وجمالا، فألبس النص ثوبا مرصعا بالمحاسن والجماليات.

* الطباق:

هو الجمع بين معنيين متقابلين⁽²⁾، لقد إنبنى نص الجاحظ على ثنائيات متضادة كان لها وقع جميل في النص، وأثر جمالي، حيث نلمس ذلك في أقواله: لفظتا: "الحافي، المنتعل"...."خصيان، فحول"...."أعلى، أسفل"...."تعجب، تكره"⁽³⁾ وهذا النوع من الطباق هو طباق الإيجاب.

فقد صدق البلاغيون إذ قالوا بالأضداد تتضح المعاني، حيث اتضح لنا معنى اللفظة الأولى من خلال مقابلتها باللفظة الثانية، ثم إن هناك نوعا آخر من الطباق، وهو "طباق السلب"، ويتجلى ذلك من خلال ما ورد في قوله: "لا يشبعها، يشبعها"⁽⁴⁾، ففي هذا النوع تبقى اللفظة نفسها فقط زيدت لام النفي، لتأكيد التقابل بين اللفظتين وإظهار المعنى .

وأیضا في قول الجاحظ هذا نجد طباق السلب: "والمغناطيس الجاذب للحديد إذا حك عليه الثوم لم يجذب الحديد"⁽⁵⁾، فالجاذب، ولم يجذب معنيين متقابلين، نفس اللفظة فقط زيدت لللفظة الثانية أداة "لم" لإظهار معنى اللفظة الأولى، فساهم الطباق بدور كبير هذا النص في بيان معاني الألفاظ والربط بينها، وخلق نوع من الحسن والجمال.

1- الجاحظ: الحيوان، ج 4، ص 313، 314.

2- حفني ناصف: المرجع السابق، ص 132.

3- الجاحظ: المصدر السابق، ص 313، 314.

4- المصدر نفسه: ص 313.

5- المصدر نفسه: ص 314.

*** المقابلة :**

ومن الطباق المقابلة، وهي أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب⁽¹⁾، نحو ذلك ما وظف الجاحظ في نصه، ويظهر ذلك في قوله: "ابتلغته وبقيت... أكلته وانصرفت"⁽²⁾، فالمعنيين الأولين يقابلان المعنيين الثانيين ويناقضانها، وفي هذا توضيح كبير للمعنى.

1- حفني ناصف : المرجع السابق ، ص 132.
2- الجاحظ : المصدر السابق ، ص 313.

خالد بن الوليد

توصلنا في بحثنا هذا إلى أهم النتائج:

من خلال الفصل الأول إستنتجنا أن :

1_ الأدب ثري، خصب بفنونه القولية، ومن ذلك النثر، كما يدل على تاريخ أدبي حافل.

2_ النثر العربي تمكن باقتدار أن يكون لغة الحضارة و العلم، واستطاع أن يظهر مرونة فائقة في التعبير

3_ إهتمام البلاغيين والنقاد بالنثر جعلت هذه الدراسة في نسق يعين الدارسين وجمهور الشباب، و المثقفين على معرفته، و متعة في تذوقه .

4_ كان للفنون النثرية الشهيرة حضورا ظاهرا عبر العصور المتعاقبة من مثل الخطب والرسائل و القصص.

5_ للنثر أغراضا بعينها لا يتجاوزها و خصائص تميزه، و تطبعه.

6_ إزدهر النثر في العصر العباسي حيث إتسعت أشكاله، وتتنوعت خصائصه الفنية

7_ الخطابة كانت أهم فن نثري، وأشهره عند العرب قبل الإسلام وبعده .

8_ الجاحظ أغنى الأدب العربي، و وجه طرائقهن ووسع مسالكه بأسلوبه المتفرد والتميز.

أما من الفصل الثاني فاستنتجنا من خلال دراستنا البلاغية لنص "من أعاجيب الحيات" من كتاب الحيوان للجاحظ ما يلي:

1_ الجاحظ يتمتع بقوة الأسلوب، لا يجاربه في بيانه كاتب، ولا ينافسه في علمه منافس، ولا يقارعه في حقائق الأشياء قارع، و كأنه تسلم زمام الأستاذية العليا من جميع معاصريه .

2_ أسلوب الجاحظ في هذا النص أسلوب الإزدواج -الأسلوب العلمي المتأدب- الذي عرف به، إذ هو الذي أعد بحق لشيوع أسلوب جديد في الكتابة، وهو أسلوب يقوم على التوازن الدقيق بين العبارات .

3_ حققت عباراته توازنا صوتيا مألوفا مما هو معروف في السجع مما أحدث ذلك ضروبا من الإيقاع .

- 4_ عبارات الجاحظ في هذا النص متينة السبك، جزلة اللفظ، محكمة الربط، وثيقة الحلقات .
- 5_ كان ينتهج في إنتقاء ألفاضه منهجا وسطا، فلا يستخدم اللفظ الغريب ولا العامي المبتذل .
- 6_ إنصب إهتمام الجاحظ في هذا النص على تحليل المعنى، واستقصاء الفكرة في أسلوب جزل واضح، ذي جمل صغيرة، متعادلة غالبا، يحليها السجع غير المتكلف.
- 7_ يميل الجاحظ في نصه إلى الإستطراد، فيكرر و يطنب، ويكثر من الترادف ويذكر كل ما له صلة بموضوع "الحيّات" من أخبار طريفة وعجبية ونوادر ممتعة.
- 8_ يحمل نصه عدة إحياءات، وإشارات، ورموز، وصور، واتسامه بالإيجاز والبساطة، واحتوائه على الصور البيانية، والحلى البديعية، ولا سيما السجع الذي يتيح قدرا من الإيقاعات الصوتية، فيتحقق بذلك الانسجام والتوازن والموسيقى.
- 9_ يبسط العبارة و يرقق من حواشيها، وهذه هي سمة البلغاء المحلقين في سماء البيان .
- 10_ أساليبه التعبيرية قد بلغت أعلى الدرجات البلاغية ، وأسمى المنازل .
- 11_ في هذا النص المعاني كانت واضحة، سهلة الألفاظ، نقية الكلمات ، مشرقة العبارات .
- 12_ براعة أسلوبه، وجمال ديباجته، ويعود ذلك إلى مطالعته لعدة كتب .
- 13_ استعمل الجاحظ هذه الألفاظ من قبيل الحرص على التأثير في ذهن القارئ . فلو بقينا نصف ، ونستنتج ، و نحلل لما إنتهينا، فقد صدق من قال "لا يجاريه أي كاتب ، ومن حاول تقليده فسيعجز لا محالة " .

المصادر والمرام

قائمة المصادر و المراجع:

أ-المصادر:

- 1) الجاحظ: البخلاء، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع ، د، ط، بيروت 2005.
- 2) الجاحظ: البيان و التبيين، ج1 ج2، دار الجيل، ط7، بيروت، 1991.
- 3) الجاحظ: الحيوان ج1، ج2، ج3، ج4 ،دار الكتب العلمية ،ط1، بيروت 1998.
- 4) الجاحظ: رسائل الجاحظ، الرسائل الأدبية، قدمها ديوان علي بوملعم، دار مكتبة هلال للطباعة و النشر ، الطبعة الأخيرة ،بيروت ،2004.
- 5) ابن منظور: لسان العرب م13، دار صادر للطباعة و النشر، ط4 ، بيروت 2005.
- 6) الزمخشري : أساس البلاغة ، تحقق : عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، د،ط بيروت .

ب-المراجع:

- 1) أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، نهضة مصر للطباعة والنشر 2003 .
- 2) أمين أبو الليل : تاريخ الأدب العربي ، ج3 ، العصر العباسي الأول مؤسسة الورق للنشر و التوزيع ، ط1 ، الأردن ، 2008 .
- 3) حسين حسن الحاج ، أعلام في النثر العباسي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع ، د، ط، بيروت ، 1993 .
- 4) حفني ناصف : قواعد اللغة العربية ، الطبعة الأميرية بالقاهرة ، ط10، مصر د ت.
- 5) رابح بونار: المختار في الأدب ، والنصوص ، والبلاغة ، والتراجم العربية منشورات المعهد التربوي الوطني ، د ت، الجزائر .
- 6) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف كورنيش النيل ، ط12 ، القاهرة ، 1119.

- (7) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني ، دار المعارف للنشر و التوزيع ، ط4 ، نقلا عن المسعودي ، مروج الذهب، دت.
- (8) عبد القادر حسين: فن البلاغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د ط القاهرة.
- (9) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، علق عليه محمود شاکر، دار المدني ط1، مكة، 1991.
- (10) علي بن هادية، بلحسن البليش، الجيلاني بن الحاج يحي: القاموس الجديد. للطلاب، معجم عربي ألفبائي، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط7، الجزائر، 1991.
- (11) علي شلق: الجاحظ، دار مكتبة الهلال، ط1، بيروت، 2006.
- (12) غازي يموت: علم أساليب البيان، دار المکر اللبناني للطباعة والنشر ط2 بيروت، 1990.
- (13) محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1994.
- (14) محمد يونس عبد العال: في النثر، قضايا وفنون ونصوص، الشركة المصرية للنشر لونجمان، ط11، 1991، ط2، 1997.
- (15) مصطفى البشير قط: مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة العربية، الأردن، 2009.
- (16) مصطفى الشكعة: بديع الزمان الهمذاني، الدار العصرية اللبنانية، ط1 القاهرة، 2003.
- (17) ولد يوسف مصطفى: أعلام النثر الفني، الجاحظ، طه حسين، تيزي وزو 2002، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ص15، نقلا عن طه الحاجري الجاحظ حياته وآثاره، دار المعارف، د ط، مصر، 1969.

الفهرس

فهرس المحتويات :

أ.....	مقدمة.....
4.....	تمهيد
الفصل الأول : النثر الفني.	
6.....	المبحث الأول : تعريف النثر الفني
6.....	أ: لغة
8.....	ب: إصطلاحا
10.....	المبحث الثاني : أشكال النثر الفني
10.....	أ: الرسائل والتوقيعات
18.....	ب: الخطابة
22.....	ت: المناظرات
24.....	ث: الأمثال
26.....	ج: القصص الديني
الفصل الثاني: دراسة النص بلاغيا.	
31.....	تمهيد.....
32.....	1: من أعاجيب الحيّات.....
34.....	2: دراسة النص دراسة بلاغية.....
34.....	أ-الألفاظ والعبارات.....
35.....	ب- المعاني.....
36.....	ج- الصور البيانية:.....
40.....	د- المحسنات البديعية
44.....	خاتمة.....
47.....	قائمة المصادر والمراجع.....